

الآليات الحجاجية لحفظ النسيج الاجتماعي الجزائري

من الخطاب الافتراضي الموجه

- مقاربات لسانية تداولية في لغة الفضاء الافتراضي -

Argumentative mechanisms to preserve the Algerian social fabric of directed virtual discourse

- Pragmatic linguistic approaches to the language of virtual space -

محمد نجيب مرني صنديد*

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب - عين تموشنت (الجزائر)

البريد الإلكتروني: marni.sandid79@gmail.com

تاريخ النشر

2020/12/01

تاريخ القبول

2020/11/26

تاريخ الإيداع

2020/09/12

الملخص:

يحيل هذا البحث المتلقي على مجموعات تصورات اللغة الحجاجية التداولية، التي ترسم معالم الفضاء الافتراضي الموجه، والتي تخصّ قضايا الشبائيات لدى الفرد الجزائري، وأهمّ المحاور الأكثر استهلاكاً لهاته الفئة العمرية من المجتمع الجزائري.

ويضع بين يديه آليات تمكّنه من رصد هاته التصورات الحجاجية، لتجنّب الاصطدام بمقومات الهوية الجزائرية، التي تحفظ معالم النسيج الاجتماعي؛ ممّا يستدعي الوقوف على أهمّ المحاور، التي يحتمل أن تكون ثغرات اجتماعية افتراضية، توظف فيها كلّ آليات الإقناع الحجاجي الموجه، الذي إيديولوجيات كثيرة، تخدم القوى المؤثرة في هذا العالم الرحيب، على حساب المتلقي لهاته الإيديولوجيات.

ويمدّ الباحثين أيضاً بكمّ من الأهداف البحثية، التي وجب تناولها بالبحث، من زوايا أكاديمية عديدة؛ ومنها الدرس اللساني التداولي والحجاجي الإقناعي، ولسانيات الخطاب الديني، قصد تحليل هاته الخطابات الافتراضية الموجهة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج ؛ المرجعية ؛ العقديّة ؛ الفقهيّة ؛ الفضاء الافتراضي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research directs the reader towards the groups of perceptions of pragmatic arguments, which draw the characteristics of the guided virtual space, and which concerns the concerns of the youth of the Algerian individual, and concerns the most important axes which are the more consumers for this age group in Algerian society.

This research sets up mechanisms that allow it to follow these persuasive perceptions, to avoid clashing with the elements of the Algerian identity, which preserve the characteristics of the social fabric, which calls for identifying the most important axes, which are presumably virtual social loopholes, It uses all the argumentative mechanisms directed towards which many ideologies serve the influential forces in this vast world, at the expense of the recipient of these ideologies.

It also provides researchers with a number of research objectives, which must be addressed by research, from many academic angles, including the lesson of pragmatic and argumentative linguistics and the linguistics of religious discourse, with the aim of analyzing these directed virtual speeches.

Keywords: argumentation; Reference; Dogma; Jurisprudence; Virtual space.

مقدمة:

تضع هاته الورقة البحثية بين يدي الباحثين الأنثروبولوجيين الجزائريين آليات حجاجية قد تكون علاجية، لظاهرة اجتماعية تبدو في ظاهرها عرضية، إلا أنها قد تتغلغل بحذر في عمق المجتمع الجزائري ذي الصبغة المتماسكة، المنغلقة في أبعادها الهوياتية، لاسيما الدينية العقدية والفقهية وكذا الثقافية، مما قد يخذل نسيجه الاجتماعي، وقد يتجاوز ذلك إلى محاولة تمزيقه. وكل هذا يتم بمقاربات لسانية دينية واجتماعية، في قراءة للغة المحتوى الافتراضي المبثوث في النت، وتصنيفها في محاور اجتماعية كبرى؛ ومنها: الدينية والثقافية والسياسية، التي تخص الخطاب الموجه إلى الفئات الشبابية المتلقية لتلك الخطابات المؤدجة.

ولما كان ذلك حقيقة ماثلة في الفضاء الافتراضي، كان بداً تناولها بالبحث والدراسة والمعالجة الأكاديمية، وفق ما تقتضيه اللسانيات التداولية، وتواشجها بنظيرتها الدينية، والتي تركز اهتمامها بغايات الخطاب وأبعاده اللغوية، لاسيما تلك التي تعني الحجاج اللغوي وآليات إقناعه؛ وحتى يكون هذا البحث أكثر عمقا في التناول، آثرت أن أعمد إلى مقال الأستاذة ربعة العربي الموسوم: "بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير" (العربي، 2013)،

بما حوى من جزئياته البحثية، ولما فيه من الدقة والاختصار، ما يخدم هذا البحث على اقتضاب أوراقه، وغازرة كَمّه العلمي والمعرفي، ونفعيّة آليّاته العلاجيّة.

2. إشكاليّة الدّراسة:

لعلّ ما يبادر المشتغل بهذا الميدان بالسؤال، متصور في الإشكالات الإجرائيّة العالقة، وهي بدورها ملخصة فيما يلي:

- ما مدى صحّة القرابة للعلوم اللّسانية من نظيراتها الدّينيّة؟ لتكون ميداناً رحباً، تفسّر فيه اللّسانيات مباحث دينيّة وثقافيّة واجتماعيّة ونفسيّة، يتعالق فيها الفرد الواحد بنظيره، في النّسيج الاجتماعيّ الذي يحويهما؛ وذلك بما تحمل من أطر علميّة دقيقة، وبما تتواشج والعلوم الأنثروبولوجيّة، في ظواهرها عامّة، وفي بعض من مباحثها الخاصّة، التي يؤوّل فيها الدّرس اللّساني لغة الخطاب السائد في ظواهرها الاجتماعيّة الطّائرة على المجتمع، لاسيما المجتمعات المنغلقة بسياجات دينيّة وثقافيّة وتاريخيّة وسياسيّة، وذلك بما تحمل اللّسانيات من آليات الدّرس التداولي، بأبعاده الحاجيّة والإقناعيّة، فتضع آلياتها هاته في خدمة الصّالح الاجتماعيّ العامّ، حمايةً لنسيجه المتراصّ والمنسجم...

- ومدى قوّة الإجراءات اللّسانية الدّينيّة "Théo-linguistique" والتّدوليّة والحاجيّة، المستحدثة في غير موطنها، لتكون أدوات فاعلة في تحليل لغة الخطاب المتداول في الفضاء الافتراضي في محاولة لتأويله.

- ويزيده في الاستشكال، ما مدى درجة نفعيّة هاته المقاربة في معالجة الظّواهر الاجتماعيّة الافتراضيّة؟ وهي التي تمسّ الجوانب الكبرى من النّسيج الاجتماعيّ: دينيّة وثقافيّة وسياسيّة. وما مدى قيمة النّتائج المحصل عليها ورصانتها العلميّة، وقوّتها في الحاجيّة العقديّة والفقهية؛ والثانية أشرس حالاً؟

3. أهداف الدراسة:

لعلّ الغاية من هذا البحث، تناول لغة الخطاب لافتراضي الموجّه للفئات الشّبابية الجزائرية، وتصنيفه في قضايا اجتماعية كبرى: (شبابيات ودينيات وسياسيات)، ومحاولة الكشف عن آليات الحجاج اللّساني، التي تكون دفاعاً خطابياً افتراضياً، ومحاولة في البحث عن تصور حجاجي لساني افتراضي، لحفظ النسيج الاجتماعي، بما في من المرجعية العقديّة والفقهية الجزائرية...

4. منهج الدراسة:

تفرض المنهجية الأكاديمية حتميتها العلمية الدقيقة، أن يكون المنهج الوصفي عمدة في هذا البحث المتواضع، متكناً على أداة التحليل-على الغلبة من أجزائه البحثية-مما يباعد الأحكام المعيارية، التي تعصف بتناول هاته الظاهرة في العالم الافتراضي تتاولاً دقيقاً.

5. آفاق الدراسة:

قد تحيلنا هاته المقاربة اللسانية في شقيها؛ التداولي: الذي يحمل في طياتها الآليات الحجاجية والإقناعية من لغة الخطاب الافتراضي المتداول، والديني الذي يعالج بعداً هوياتياً قد يبدو معرضاً للاختراق، من قبل الخطابات الافتراضية، التي تتراكم على الفئات الشّبابية الجزائرية، لاسيما العقديّة منها والفقهية، وما يدور في فلكها، وذلك وفق منهج إجرائي أكاديمي رصين وصارم، قد يعطي تأويلاً قريباً من الدقة، لهاته الظاهرة الاجتماعية العامة، وقد يحاول أن يجد آليات خطابية دفاعية متينة، تواجه هاته الخطابات الهدامة نسبياً في غالبها.

6. تداولية الخطاب الحجاجي في الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة:

لقد أولى الدارسون المحدثون العناية الكبيرة، للخطاب والتواصل، إذ أضحي مجاًلاً خصباً، لمباحث العلوم الإنسانية، في فترتها الأخيرة، من زمن البشرية، بخاصة لما

تعالقت الوشائج العلمية، بين العلوم المحيطة بها، ممّا مكنّ لأوساط مبحثية جديدة، أن تستوعب الباحثين، من مختلف الفنون العلمية النظيرة؛ ولعلّ من بين المظان، التي امتزج فيها فسيفساء آراء هؤلاء، واختمرت نظراتهم إلى ما صبوا إليه من معارف ورؤى حديثة، من فلسفة اللغة، ولسانيات التداول، وبلاغة الحجاج، والخطاب والتواصل.

هذا؛ ويعدّ الحجاج من المباحث المتأخّرة في الدّراسات الإنسانية، من حيث إنّ من جملة أفعال الإنسان، التي يصبو بها إلى الإقناع، ليستمدّ خاصيّته من تفعيل عنصر التعليل وتقنياته في الوضع التّواصلي، ليرام التّأثير في الطّرف الافتراضي الآخر، فيغالبه في الرّأي، وفيما وقع فيه بين الطّرفين؛ وعليه يمكن استنتاج، أنّ الحجاج توظيف للغة، في تحويل رأي الآخر، وتعديل مساره، في حين أنّه أيضاً تقوية لرأي الطّرف الأوّل، لدى المستمع الحيادي المفترض، وما يمكنه باستخدام المشاعر والمواقف، وطرائق الإقناع والتّفكير.

7. اللغة التّداوليّة واللّغة الحجاجيّة في الدّراسات اللّسانية الحديثة:

لا يختلف الحجاج عن غيره، من المباحث العلميّة الحديثة، ذات الأهميّة القصوى، ولقد كانت بلاغته وأساليب الإقناع فيه الهمّ الأكبر، لدى كثير من الدّارسين، والسياسيين من صنّاع القرار، ورجال المخابر الإيديولوجيّة العالميّة، في ظلّ التّجاذبات والصّراعات الفكرية، فأصبح من المقرّرات، التي تتلى كالورد اليومي، والحاضر الأقوى في الممارسات الخطابية التّواصلية، في كلّ الطّروف، والمناحي الحيوية، والوسائط التّواصلية.

ولمّا كان هذا غاية بعضهم، وجب التّصنيف للحاجة في هذا، فخرج للوجود مؤلّفان، الأوّل لستيفان تولمان "Stephen Toulmin" بعنوان (the uses of argument) والثاني، لشيم برلمان "chaim perelman" و أولبرايت تيتيكا "Lucie Olbrechts-Tyteca" بعنوان (Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique)، وذلك في سنة 1958م.

ولقد عرفه الأخيران، أنه: "دراسة تقنيات الخطاب، التي تقود الأذهان، إلى أن تسلم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم (perlman & tyteca, 1988, p5) ويضاف إلى هذا أنّ الحجاج قد يربط الإثارة، بالأطروحات المقدّمة، ويقوّي الاندماج فيها.

وقد يكون حواراً افتراضياً أيضاً، للوصول إلى الاقتناع، دون حمل صاحبه على الإقناع. وغايته في تصوّر "برلمان" و"تيتكا" إحداث التأثير المؤدي إلى الفعل، ومن تفعيل الفكر، إلى تفعيل الفعل وتحقيقه، وتكون الوسيلة الخطاب، وما يحمل من تأثير في ذهن المتلقّي؛ ولعل غاية الحجاج القصوى إقناع الأذهان، بما يعرض عليها من قضايا الفكر، بتوظيف تقنيات محدّدة، تمكّن من بلوغ المبتغى.

ويرى "ديكرو O.Ducrot" و "أنسكومبر J.C.Anscombre"، الحجاج هو أن يقدّم المتكلّم قولاً (ق1) موجهاً إلى جعل المخاطب، يقبل قولاً آخر (ق2) يكون نتيجة لـ(ق1)، ويكون ذلك صراحةً أو ضمناً.

ويمكن تلخيص هذا فيما جاء: "إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللسانية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج، التي تستنتج منها" (العزاوي، 2006، ص16). وعليه فإنّ الحجاج علاقة بين أقوال الكلام، في الخطاب الموجّه، بتأطير من عمل المحاجة وبقيد لغوية، ومن هذا الداعي يرى "ديكرو"، أنّ الحجاج من ضمن البنية اللغوية ذاتها، في المحتوى الخبري للكلام، لا في المعطيات البلاغية المقامية. وأنّ التقنيات الحجاج، من تقنيات الخطاب ذاته، تستمدّ قوتها من البنية التركيبية اللسانية، التي توظّف فيها (شارودو، 2009، ص10)؛ فالخطاب مطيّة الحجاج، ومنتهاه في وقت واحد.

ويرى "باتريك شارودو" أنّ للحجاج ارتباطاً برهانات الأوضاع، لا بالخصائص اللسانية، في حين يراه "ألرون Oléron" أنّ متعلّق بالبنية الفكرية؛ وذلك في قوله: "هو إجراء يسعى من خلاله شخص ما، أو مجموعة ما إلى استدراج السامع، إلى تبني موقف

ماء، وذلك باللجوء إلى عروض، أو إثبات حجج، تهدف إلى تبيان صحته" (Oléron, 1993, p5). ويحدد مميزات الحجاج، فيما يلي:

- يدرج أشخاص عديدة:

ويمثله في الواقع الافتراضي صفحات المجموعات في الفيسبوك، والمننديات في النّتّ وهي متعدّدة في ألونها، إلّا أنّها على لا تخرج القضايا الكبرى الشبابيّة منها والدينيّة والسياسيّة مما يستوجب الحضور اللّغة الحجاجيّة، التي تحفظ للجزائر نسيجها الاجتماعي، وفق المبادئ الدينيّة التي تستميز بها عن باقي الأمم، القوميّة والإقليميّة والعالميّة.

- الحجاج إجراء يهدف الشخص به إلى التأثير على الآخر:

قد يكون الحجاج إجراء تطبيقياً، لما تشهده صفحات الافتراضي من ممارسة للقوى المؤدلجة، للتأثير على الفرد الجزائري، بعدّ الجزائر سوقاً واعدة، تفتح الشّهية لأطماعهم، ومراعاة للخصائص النفسيّة للجزائريين التّواقين -إلى حد الشّغف- للمعرفة والمستجد العلميين.

- يسوق عناصر التسويغ "la justification":

لعلّ الظاهر في القراءة الفاحصة للغة الواقع الافتراضي، الموجه للمستهلك العربي المسلم عموماً، والجزائري خصوصاً، أنّ لعوامل المحاجة، والحجّة العقليّة، والمزيج المنطقي بين الصّوري والأرسطي والسّفسطة، حضور كثيف، لاسيما في قضايا الدينيّات، العقديّة منها والفقهية والطائفية، وكذا في القضايا السياسيّات لاسيما الشّأن الدّخلي.

هذا؛ ويرى كراي J.Carriere من جانب آخر، أنّ فاعل الحجاج، لا يرى في المخاطب مجالاً للمناورة: "la manipulation"، وإنّما يراه الأنا الآخر "alter ego" المفترض أنّه يقاسمه الرؤية (Carriere, 1992, p41)؛ ويمثله خاصّة في صفحات التّشيع، التي تقرّ في الأوراق الصّفراء المنبوذة، وفي الأحداث التّاريخيّة الإسلاميّة المقرّرة، بمنطق: حقّ أريد به باطل، وبلغة مناورة عجيبة وسلسة، مليئة بالورود المنطقيّة في بدايتها، لتتغير

اللغة الجنس اللطيف، من الكلام المعسول، إلى لغة الجنس الخشن، والمطالبة بحقّ كان العهد به 14 قرنا من الزمن، وما ينسل منه من هرطقات وخرافات دينية، تجافي المنطق السليم بسنوات ضوئية... والأمر نفسه عند بلوتين C. Plantin بقوله: "هو العملية التي من خلالها، يسعى المتكلم، إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات، لدى مخاطبه، بواسطة الوسائل اللغوية" (Plantin, 1996, p146)؛ كذاك الأمر في الصّفات الشيعية والتبشير، اللتين تعولان على اللغة أيما تعويل، في سبيل المناورة الحجاجية والإقناع المؤدلج، لتكون لهما مطية سهلة.

ونجد في طرف آخر "بلنجر" الذي يرى أنّ الحجاج ممارسة نفسية منطقية، تحكمه ثقافة معينة، وتوجهه رغبة في التفاعل، مع الممارسة النفسية المنطقية للشركاء المعنيين، في هذا الخطاب، عند أطراف الحجاج. ولعل ما يجمله برلمان من خصائص الحجاج كافٍ، من حيث اشتماله لمقاربات وروافد فكرية وعلمية عديدة؛ منها: علوم اللغة وعلوم النفس والاجتماع، والديالكتيك والمنطق والبلاغة وغيرها؛ ويتعداها إلى ارتباطه بوسائل تواصلية غير كلامية لسانية، كتعبيرات الوجه والحركات. وتتخصّص هذه الخصائص فيما يلي:

- التوجه إلى مستمع؛ يقابله المتلقي الافتراضي الجزائري.
- التعبير عنه بلغة طبيعية؛ هي لغة مؤدلجة من جملة القضايا الكبرى التي تعالج الواقع الجزائري.
- مسلماته احتمالية؛ منها يوافق المرجعية الوطنية الجزائرية، ومنها ما لا يوافقها.
- لا يفتقر تقدمه وتناميّه إلى ضرورة منطقية؛ ويقتضي الانتباه إلى المقدمات المنطقية، التي تقوم على مبدأ التخليط.
- نتائجه ليست ملزمة؛ يتعلق هذا بالخاصية التي سبقته.

8. زوايا اللّغة في الأوساط التّواصلية الحجاجية في المنظومة الافتراضية الجزائرية:

يكتسب الخطاب أبعاداً تداولية خطابية غير مباشرة، وما يجعل المخاطب يناور، بغيةً في إقناع الطرف الآخر، وتتلوّن هذه الأبعاد بحسب تشاكل الخطاب، من هيئات التّوظيف اللّغوي للألفاظ والتراكيب، وغيرها من المستويات اللّسانية، وغير اللّسانية؛ وبحسب نوع الخطاب أيضاً.

ولعلّ ما في جوهر نظرية الخطاب، كائن في رأي شايم بيرلمان (1984): "النظر في تقنيات الحجاج الخطابية، التي تجعل من الجهة المخاطبة، ليتبنّى ما عرّض عليه من الخطاب" (Perlman, 1977, p13)؛ ويرى بلنجر أنّ المقاربات الحجاجية، من ثلاث زوايا؛ وهي:

1.8 بنية اللّغة في وسائط الاتّصال:

وهي جملة مقاربات سياسية واجتماعية تهدف إلى الدّعوة للتّحكّم في الخبر، وتوجيهه كيف تشاء؛ ولعلّ من أهمّ هاته الوسائط التّواصلية الافتراضية "الفيسبوك" الذي يتّخذ مطية لتمرير الخطاب المؤدج، على اختلاف مشاربه وصنوفه، إلى الطرف الثاني، ومنه المستهلك الفكري الجزائري، زيادةً على عقيدته الفكرية، فمنه ما ينسجم وما يعتقد، وأكثره لا يصل عتبة عقيدته الفكرية الاجتماعية، ممّا يحدث تمزيقاً في النّسيج الفكري الاجتماعي، فيصنّف في قاصّة الحظر الفكري، مهما تعالت أسسه المنطقية والفكرية، استجابة لمصلحة المجتمع العليا، التي تأسّس عليها في أوّل منشئه، وقد حدّدت معالمها وتوجّهها.

2.8 الآثار اللّغوية في الحجاجية الإقناعية الافتراضية:

لعلّ في الإطلاقات الوردية المتوالية على صفحات الفيسبوك، ما يمكننا من حلحلة بعض النّماذج، التي تصقل الاستهلاك الفكري الجزائري، في صفحاته على اختلافها، لتتشاكل في زمر ثلاث؛ وهي على النحو الآتي:

- زمرة لغوية مستهلكة للمنتوج الخطابي الافتراضي؛ وهي ميزة لغة التيار الحداثي، وتتماز هاته اللغة بالقبول والإقبال على ما تفرز لغة الخطابات الإيديولوجية.
- زمرة لغوية رافضة للمنتوج اللغوي الخطابي الافتراضي؛ وهي ميزة لغة التيار المحافظ، وتتماز هاته اللغة بالانغلاق على الذات المركزية.
- زمرة لغوية وسطية بين القبول والرفض؛ وهي ميزة لغة التيار الوطني، وتتماز هاته اللغة بقبول الآخر، في إطار المرجعية الدينية والفكرية والحضارية الوطنية.

3.8 محتوى اللغة الخطابية الافتراضية:

لعلّ من أنماط الحجّة، وطبيعة الخطاب وخصائصه، في صفحات الفيسبوك، الموجهة للمستهلك الجزائري، ما تمسّ في كلّها الخطوط المحظورة، والدفاعات الأخيرة للمجتمع، في ظلّ ترنّح الوعي لدى الفئات الاجتماعية الكبرى، لاسيما الشباب الجزائري، المقبل بشراهة على المنتوج الفكري على اختلافه؛ وقد كانت فيما يلي:

1.3.8 اللغة التداولية والحجاج الإقناعي في قضايا الشبابيات:

تهتمّ قضايا الشباب بثلاث محاور في أغلبها؛ فمنها ما يخصّ الدرجة (الموضوعة)، وصفحات الجنس، وما يمسّ الأخلاق الجزائرية البحتة. ولا ريب أنّ الشباب الجزائري الفئة الاجتماعية الكبرى، المعنية باللغة الإيديولوجية الافتراضية، لاسيما ذلك الذي يسوق لها في الفضاء الأزرق على الخصوص، من مغريات شبابية، توافق الطّباع النفسية، والأمزجة الفكرية الراهنة، حتّى ينفذ مشروعا إيديولوجيا مراما تنفيذه، سواء أكان عالمياً أو إقليمياً، أو محلياً يخدم مصلحة خارجية؛ ولعلّ من أهمّ هاته المغريات الشبابية، التي تعصف بالذّات الجزائرية القحّة، محاولة سلخها من البيئة الثقافية الجزائرية والحضارية، التي يمتاز بها الفرد الجزائري، منذ عمق التاريخ البشري؛ فما تحمله مغريات الدرجة (الموضوعة) التي تدعو صراحةً إلى الرّجلة والتّخنث، والتّمرد على القيم الثقافية الجزائرية الحقّة، وغيرها ممّا لا يوافق الهوية الجزائرية، التي لا تخفى على أحد من النّاس.

2.3.8 اللغة التداولية والحجاج الإقناعي في قضايا الدينيات:

لعلّ في طائع الشباب الجزائري من خصائص نفسية، ما يشبه وقود الطائرات النفاثة (الكيروسين) فعلى قدر نفعه وقوة دفعه، على قدر خطره وقوة تدميره، ينضاف إليه تعالق الفرد الجزائري بالمسائل الدينية، فيزيد الخطر على الخطر، في حال سوء الاستعمال؛ لذا كان لزاماً على الدفاعات الافتراضية، أن تضع يدها على المرجعية الدينية والفقهية الجزائرية، في ظلّ التجاذبات العالمية والإقليمية والإيديولوجية الطائفية، ممّا تحول الطاقة الدفاعية الافتراضية، إلى عامل مرجعي وطني، في حين أن تلفظ كل رأي دافع إلى لغة تخالف وحدة النسيج الاجتماعي الجزائري؛ ولعل من أهمّ ثنائيا القضايا الدينية: المسائل الكلامية وعلم التوحيد، والأحكام الفقهية، ومحاولات التمسح والتشيع، ودعوات حرية الاعتقاد العشوائية، وغيرها في هذا الأمر كثير متلئب.

3.3.8 اللغة التداولية والحجاج الإقناعي في قضايا السياسيات:

لا غرابة في القول إنّ المجتمع الجزائري يمارس السياسة، يتفاعل وأحداثها تفاعلا متناسقاً، ويتباهى أفرادها في المساجلات السياسية، وفي الجماعات البشرية، والتجمعات اليومية، وقد يلمس الناظر إلى هذا، لغة سياسية لدى الفرد الجزائري، تتمّ إلى حد الظهارة والعلن-عن وعي سياسي معيّن، وجب الاعتناء به، ووضع الاعتبار للغته، بما يخدم المصلحة العليا للوطن والمجتمع، ولا يخرق النسيج الاجتماعي الجزائري؛ من ذاك: تفاعل الفرد الجزائري والأحداث السياسية، التي نشهدها في الأزمة السورية، وقبلها الأزمة التونسية والمصرية والليبية، وبعدها الأزمة اليمنية، والصراع الخليجي الإيراني من جهة، والخليجي القطري من أخرى، والإسفين الأردوغاني في العالم العربي، وغيرها من الأحداث، ومنها أيضاً القضايا السياسية العالمية، كالصراع السياسي الفرنسي التركي، وإقحام الفترة الاستعمارية الفرنسية للجزائر في هذا الصراع، ومنها القضايا الإقليمية، كالقضية الصحراوية العادلة وغيرها...

9. الآليات الإقناعية اللسانية في الواقع الافتراضي الجزائري:

1.9 نموذج كابفيرير:

يرى "جان نويل كابفيرير Jean-Noël Kapferer في جانب آخر، أن تقنيات لغة الإقناع ستة علميات إجرائية؛ وهي:

1.1.9 تلقي لغة الخطاب:

ولا يتأتى هذا، إلا بالمشاركة في المنتديات والصفحات، التي تهتم بالقضايا الثلاث الكبرى (الشبابيات والدينيات والسياسيات)؛ وعلى هذا تشخص الأسباب، وتحدد الكيفيات العلاجية، في حال تحول لغتها إلى أمراض وطفيليات ولوثات اجتماعية.

2.1.9 تفكيك لغة الخطاب:

وقد يختار لهذا التفكيك عناصر التواصلي، المطور عن نموذج جاكوبسون (1982) مع إضافة القصدية الخطابية -وفق النظرية المقاصدية الفقهية للشاطبي (791هـ-) والذي من شأنه تحليل لغة الخطاب الافتراضي، باختلاف التوجهات والمشارب؛ وهو المتمثل فيما يلي:

الشكل رقم 01: خطاطة التواصل الحجاجي الافتراضي



يحفل الوعاء الافتراضي، بشبكة حاجية كبيرة، لصناعة إيديولوجية معينة، بحسب ما يريد أصحابها، من القوى الخارجية المؤثرة، التي تمثل الباث في هاته الخطاطة، والتي توجه خطاباتها الحاجية الافتراضية إلى العالم الضعيف في عمومها، والفئة الشبابية الجزائرية من ضمن هذا الفضاء الافتراضي الرّحب، يستقبل هاته الخطابات، يتفاعل معها إيجاباً وسلباً، وتمثل الخطابات الافتراضية للقوى المؤثرة رسائل في المحاور الشبابية الكبرى (الشبابيات والدينيات والسياسيات)، وتوظف في رسائلها كل القوانين والسّنن، التي تعطيها المكنة للتأثير الإيديولوجي والمغالبة الحاجية والإقناعية، فتسلك لكل سياق إيديولوجي مرام، ملابس لقضايا افتراضية، تريدها خدمة لسياقاتها المحبوبة، فتتخذ لذلك قنوات افتراضية، تمثلها المواقع على النّت، لاسيما مواقع التّواصل الاجتماعي منها، وكلّ هذا رغبة في الصناعة الإيديولوجية للقوى الكبرى، وقصديتها التي تبدو خفية، إلّا أنّها ولانتشارها ولسعة سيطرتها على الفضاء الافتراضي، قد أصبحت ظاهرة للعيان...

3.1.9 تصديق الخطاب:

وهي العملية التي تلي لغة التّفكيك الخطابي، وفق نموذج الشّاطبي، باعتبار لغة الفئة الجزائرية المشتغل عليها؛ وذلك بسلاسل إجرائية، يكون القصد منها قياس معيار القبول للقصدية الإقناعية للغة الخطاب المبنوث من القوى المؤثرة، في قناة الواقع الافتراضي، بالسّلب وبالإيجاب، ومنه إلى قياس مستوى لغة الفهم، ومنه إلى مستوى لغة الإقناع.

4.1.9 دمج التّصديق والموقف الشّخصي:

تلي هاته عملية التّصديق، وليتشاكل في نفس المشتغل بدفاعات المرجعية الوطنية، على اختلاف قضاياها الكبرى موقف، بحسب ما يراه ويخدم وحدة الوطن ومرجعيتها؛ ولعلّ من ضمن هاته المواقف: (التّحرّب والتّكتّل والتحالف والموالاتة وغيرها).

5.1.9 تعميق التصديق:

ويحدث هذا بعد التصديق والموقف، ليرتسم للدفاعات المرجعية الوطنية، ما يسهل عليها حفظ قبولها، مع تقادم الزمن، وتأثيرات التغيرات التي تكتنف موقفه من كل جانب.

6.1.9 ترجمة التصديق:

وهي المرحلة الأخيرة في هذا النموذج المقترح، بترجمة الموقف الشخصي المتشاكل في النفس، وبعد التصديق عليه ودمجه وتعميق فكرة المقاومة في سبيله، إلى سلوك يتجسد فيه موقفه الشخصي.

2.9 أنموذج ميشال مايير:

لعلّ من تقانة لغة الإقناع، ما تكبّ في رافد واحد، للغة الخطاب الحجاجي، ليكون مطيّة الإقناع ولغة التأثير، وعملة التداول الحجاجي، من أداة التسويغ، ولغة التّوضيح في مقارنة الآخر. ويشترك بهذه التقنيات، أعراض بلاغة التأثير ولغة الإقناع، اللتان تسعيان دائماً لتحقيقهما؛ ولعلّها التي أشار إليها إجمالاً ميشال مايير Michel Meyer (،) Meyer, 1993, p17et18، فيما يلي:

1.2.9 لغتا الإقناع وإيجاد القبول:

قد يقتضي هذا العنصر سلاسل إجرائية، متضافرة في الهدف الأوحد، والمتمثّل في لغة الوحدة والمرجعية الوطنيتين، وذلك في القضايا الكبرى الثلاث، وقد تكون نقطة تلاقي هاته السلاسل الإجرائية، المقومات الجزائرية الكبرى (الدين والعرق واللغة)؛ ولعلّ من أهمّ هذه الأخيرة التي يخدم الحفاظ على المرجعية الوطنية، وفق ما يلي :

- يجب على المعتقد الفكري أن لا يضرّ المصلحة العليا والعامة.
- يجب على المعتقد الفكري أن يجلب الزيادة الفكرية للوطن.
- يجب على المعتقد الفكري أن يراعي النسيج الاجتماعي الوطني في القضايا الكبرى.
- يجب على المعتقد الفكري أن يحترم خصوصية الوطن الداخلية والإقليمية.

- يجب على المعتقد الفكري أن يقبل التنوّع في ظلّ احترام الآخر داخل القطر الواحد.
- يجب على المعتقد الفكري أن ينسجم والتّوجّه الاجتماعي والسياسي للوطن.

2.2.9 لغتا الإغواء والإرضاء:

لا بدّ للمشتغل بالدفاعات عن المرجعية الوطنية، في العالم الافتراضي، أن يفهم لغة أغوار السيكلوجية الجزائرية؛ ما تحبّ وما تكره، وبما تتفعل وبما تتأثّر، وبما تتجذب، ومما تتفرّ وغيرها من انفعال الأنفس الجزائرية، في غالب من شعورها العام (نسبيًا). إنّ لغة المشاعر الاجتماعية الجزائرية، في وجدانها العميق، تتجذب ودون شعور منها إلى الوازع الديني النقلي قبل العقلي (المنطقي)، لاسيما الحديثي النبوي، وما يسايره من السيرة النبوية الطاهرة؛ وذلك بالنظر إلى المذهب الفقهي المالكي المدني، وقد عرف على المغاربة الولع المدني في الفقه والقراءة (مالك/ونافع). ويمثّل التفسير الكلاسيكي للقرآن الكريم، من المصادر المقدّمة، حتّى على القرآن الكريم ذاته، ممّا وجب مراعاته في عملية الإغواء الفكري لدى الجزائري. كما يمثّل النماذج البشرية التي ينشر لها الجزائري، من المعالم الفكرية، التي يمكن التّعويل عليها في هاته العملية، الوطنية منها والإقليمية، والقومية والعالمية.

3.2.9 لغتا المناورة وتسويق الطّرح:

لعلّ في الذات الجزائرية العميقة، ما يصعب الأمر على المشتغل بالدفاعات الوطنية الافتراضية، بالنظر إلى لغة الحسّ الغلفاني الدقيق، لدى الأنفس الجزائرية في غالبيتها، ممّا يستوجب على المتعامل معها الحذر الشديد في المعالجة الفكرية الافتراضية؛ ولعلّ من الدّهاء الفكري تفعيل هاته الثّغور، إلى معاقل يتحصّن بها المشتغل بهذا الفنّ.

4.2.9 اقتراح المتضمن بالصريح:

لعلّ ممّا يمتاز به الفرد الجزائري من نمط لغته التفكيرية، الولع بالموجدات الحسية المادية، ونظيرتها المجردة الفكرية؛ ممّا يستوجب البديل الحضوري، في مقابل المنفر منه من الثلاثيات الكبرى.

5.2.9 طرح المجازي في المعنى المعجمي، للتأويل والاستدلال عليه:

يمثّل هذا العنصر المحتمل الفكري، من أيّ أمر لا يكون صريحا؛ إذ ليس ضرورة أن يذكر الأمر بما تحمل مادته المعجمية من معنى، وإنما قد ينزاح المشتغل بالمرجعية الوطنية الافتراضية، إلى التأويل الدلالي، ومن بعده التداولي الممارس، وما ينجرّ عنه من المقاصدية الفكرية (العبرة بالمقاصد).

6.2.9 استعمال اللغة الأدبية، والمجازية الأسلوبية "stylisé":

لعلّ ما يستميز به الفرد الجزائري، الميول اللغة المتأدبة، لاسيما تلك التي تنجح إلى الأسلبة وفنّ المجاز؛ ولا يعني هذا بالضرورة الاستعمال اللغوي بمفهومه الفصيح، إذ يمكن للمشتغل بهذا الفنّ، التعامل باللغة الوطنية الحدية أو الدارجة، أو العامية - إن اقتضى الأمر - إلا أنّ حضور الأسلبة والمجاز، من عوامل المحاجة المؤثرة لدى الجزائري، الذي يصل به هذا إلى درجة الشغف.

7.2.9 محاولة كشف قصديّة الباث (الطرف 1) بتعليل قصديته ممّا يرصده فيما يبيّنه:

لعلّ ما يؤكّد التقاطع، بين أغراض الحجاج، وبين أغراض البلاغة، التي تجمع تقنيات الحجاج بالبلاغة، هو أنّ محور البلاغة البحث الحثيث عن تقنيات التأثير، وفيها المجاجة نفسها؛ ولعلّه المتضمن لدى ألرون في: "من وجهة نظر اجتماعية، يعدّ الحجاج صورة لتقنيات التأثير، التي يفعلها الأفراد والجماعات، بأشكال وبأهداف متعدّدة، بمجرد أن يبدأ الأشخاص العيش معا، وبمجرد أن الحياة الجماعية تولّد التعاون والصراعات (Oléron, 1993, p10). وعلى هذا؛ فإنّه من الحتمية ما يوجب أن يشتغل بالدفاعات

الوطنية الافتراضية، أن يمتلك من ناصية البحث اللساني الحديث ما يمتلك، وما يتعلق معه في بقية العلوم الأنثروبولوجية.

10. نتائج :

- تعاضم الخطر على المرجعية الوطنية بما حوى من المقومات الثلاث الكبرى؛ مما استدعى الأمر التدخل، للنأي بالمجتمع الجزائري، عما يترتب من تداعيات العولمة الاجتماعية والثقافية والسياسية، لاسيما تلك المتعلقة بالقضايا الدينية...
- لعلّ من الحتمية الاجتماعية، والواجب الديني، أن تتولى الفئة المثقفة في المجتمع مهمة الدفاعات الافتراضية، دون غيرهم من الفئات الاجتماعية، بالنظر إلى جسامه الخطر، الذي يكتنف المجتمع من كل جانب.
- لعلّ في الأطر اللسانية التداولية، وآليات بلاغة الحجاج، ما يمكن للدفاعات الافتراضية عن المرجعية الوطنية القوة الحجاجية، وفق المعايير العلمية القويمة، وبعيدا عن الذاتية...
- لعلّ في المقاربة اللسانية الدينية، ما يحدّد إطار المنهج اللساني التداولي، وبلاغة الحجاج، التي تعتمد الدفاعات الافتراضية عن المرجعية الوطنية، لما يمثله الوازع الديني لدى المجتمع الجزائري من الإكسير السحري في خلداهم.
- لقد حدّد مصدر التشريع الديني الأول، أولية المصلحة الاجتماعية العليا، التي تنصهر ما دونها كلّ الاعتقادات وكلّ الأفكار، مهما تعاضم قدرها، في سبيل حفظ النسيج الاجتماعي، في ظلّ التعدّد الاجتماعي والإثنيات...
- لا تعدو الدفاعات الافتراضية عن المرجعية الوطنية، القضايا الكبرى (الشبابيات والدينيات والسياسيات)؛ ولعلّ ما يجاوز هذا يعدّ حجرا على الحريات الشخصية.
- لعلّ ما في القضايا الدينية الافتراضية، بما تحبل من جزئيات وتفريعات، ما يستدعي الحضور الافتراضي العاجل لما فيه من المفترقات العقدية الاجتماعية، التي ورثها الفرد

الجزائري عن أسلافه، الذين حدّدوا معالم العقيدة الاجتماعية الجزائرية، والتي رسمت العقد الاجتماعي المرجعي لأفراده.

- ليس من الحرية الشخصية للفرد الجزائري في الواقع الافتراضي، أن يجاوز الإطار الاجتماعي العام، ويخرق النسيج الاجتماعي، بما اعتقد من أفكار وقناعات فكرية، تخلّ بالنظام الاجتماعي، الذي تشاكلت معالمه، ورسمت أطره، وتعاقب الحضارات والدول والحواسر على أرض هذا الوطن.

- لعلّ في الأطر اللسانية التداولية، والبلاغة الحجاجية، والأنموذج اللساني الديني، وفق الفقهي الأصولي، الذي رسم معالمه الشاطبي، ما يمكن من التوسّع في معالجة الجزئيات الافتراضية، من القضايا الثلاث الكبرى.

11. المراجع:

العربي، ربيعة، (2013)، بلاغة الحجاج و تقنيات التأثير، الحوار المتمدن:
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=351985> (29/03/2013)
الغزالي، أبو بكر، (2006م)، اللغة والحجاج، مطبعة الأحمديّة، المغرب.
شارودو، باتريك، (2009م)، الحجاج بين النظرية والأسلوب: عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الودرني، الكتاب الجديد، لبنان.

Carrière .J. C,(1992), La controverse de Valladolid Belfond-Paris.

Meyer. M,(1993),questions de rhétorique, librairie Générale française, Paris .

Oléron. P,(1993) L'argumentation, P.U.F (nle édition) Paris.

Perlman .C,(1977), L'empire rhétorique , Vrin, Paris.

Perlman .C & Tyteca. L, (1988), Traite de l'argumentation: La nouvelle rhétorique, Presses-universitaires de France éditions de l'université de Bruxelles .

Plantin. C, (1996) , L'Argumentation, Seuil, Paris.